التفاعل الاجتماعي ودور اللغة في تطوير عمليات التفكير "النظرية البنائية الاجتماعية"

Social interaction and the role of language in developing thought processes "Social constructivism theory"

أ.مسلم ضياء الدين
جامعة مستغانم

ملخص:

نجد النظريات الحديثة تقول بأن التعلم الحقيقي لن يتم بناءا على ماسمعه المتعلم حتى ولو حفظه وكرره أمام المدرس بل تؤكد هذه النظريات وخاصة النظرية البنائية الاجتماعية أن الشخص يبني معلوماته داخليا متأثرا بالبيئة المحيطة به والمجتمع واللغة،وأن لكل متعلم طريقة وخصوصية في فهم المعلومة وليس بالضرورة أن تكون كما يريد المدرس اذن فانهماك المدرس ارسال المعلومة وليس بالضرورة أن تكون كما يريد المدرس لان انهماك المدرس ارسال معلومات للمتعلم وتأكيدها وتكرارها لن يكون مجديا في بناء المعلومة كما يريدها في عقل المتعلم وهذا ماسنحاول توضيحه في هذه الورقة البحثية مع تركيزنا على عمليات التفاعل الاجتماعي ودور اللغة في تطوير عمليات التفكير .

الكلمات المفتاحية:النظرية، البنائية ،أصول البنائية الاجتماعية .

ABSTRACT:

We find modern theories saying that true learning will not be based on what the learner hears, even if memorizing it and repeating it in front of the teacher. Rather, these theories, especially social constructivist theory, confirm that a person builds his information internally affected by the environment surrounding him, society, and language, and that each learner has a method and privacy in understanding the information and not necessarily that Be as the teacher wants, then the teacher is involved in sending the information, and not necessarily that it is as the teacher wants, because the teacher is busy sending information to the learner and confirming it and repeating it will not be useful in building the information as he wants it in the learner's mind and this is what we will try to clarify in this research paper With its focus on the processes of social interaction and the role of language in the development of thought processes. . .

THE KEY WORDS :Taeching; Theory, structuralism, the origins of social constructivism

مفهوم نظرية التعلم البنائية:

البنائية تشتق من كلمة بناء أو بنية ،بمعنى الطريقة التي يقام بها مبنى ما،ونظرية التعلم البنائية والتي رائدها جان بياجيه نظرية مختلفة عن النظريات الأخرى فبياجي يرى أن التعليم يكتسب عن طريق المنبع الخارجي[1]وهي نظرية تعليمية تقوم على العملية التفاعلية مع مراعاة ميول الطفل المتعلم واحتياجاته.

مفهوم التعلم:

هو نشاط فكري الهدف منه الوصول الى خبرات ومهارات ومعارف جديدة وهو يعتمد على الجانب العقلي من الشخص أي على الفعاليات الذهنية من ذاكرة وذكاء وغير ذلك بقصد اكساب الانسان المعارف العقلية[2]

مفهوم البنائية الاجتماعية:

وتسمى هذه الظاهرة أحيانا النظرية الثقافية والمجتمع لتأكيدها على دور الثقافة والمجتمع في التعلم ،وبالرغم من أن البنائية الاجتماعية لم تتبلور الا في العقدين الأخيرين من القرن 20م،الا أنها تأثرت بكتابات عالم النفس المعرفي الروسي ليف فايجوتسكي الذي كان يرى أن تفكير الأطفال ولغتهم يبدآن بوصفهما وظيفتين منفصلتين ،لكن يصبحان مرتبطان في سنوات ماقبل المدرسة عندما يبدأ الأطفال باستخدام اللغة وسيلة للتفكير، وشيئا فشيئا يبدأ تعلم الطفل بتأثره باللغة،وخاصة المعارف المرتبطة بالثقافة التي يصعب أن تكتسب خلال التعامل المباشر مع البيئة فيكتسب الطفل أكثر معارفه الثقافية من خلال التخاطب مع الآخرين ويتوسع في ذلك من خلال التفكير والبحث والحديث النفسي الداخلي فالواقع أن المتعلم يعيش داخل مجموعة من البشر قريبين منه ويتفاعل ويتواصل معهم وكل مايتعلمه يتأثر بشكل أو بآخر بهم[3]

أغلب الصور التعلم والاتصال بين البشر ماكانت لتتم لولا وجود اللغة ،فاللغة وسيلة اجتماعية ،فالتعلم انما هو عملية اجتماعية والعلوم والمعارف التي تكونت على مرء عصور انما هي منتجات اجتماعية بمعنى أن العلماء أنتجوها وساهموا فيها من خلال صور متعددة من التفاعلات الاجتماعية والحوارات والنقد والانشطة الجماعية،فما يقدمه المربون والمعلمون في كل مجتمع انما هو مقرر اجتماعيا.

ويحدد بعض المختصون أربعة جوانب مهمة للتعلم البنائي :

-التعلم عملية تفاعل بين ماهو معلوم وما يراد به تعلمه.

-التعلم عملية اجتماعية.

-التعلم عملية موضعية سياقية.

-التعلم عملية فوق معرفية.

وبناءا على ذلك طرحنا أربعة مبادئ للتدريس البنائي يمكن أن يمثلها المنهج وهي:

-أن يحتاج المتعلم الى معلومات سابقة كافية وفهم كافي ليتمكن من الأشياء الجديدة ويحتاج للمساعدة لجعل الروابط بين التعلم السابق واللاحق.

-يجب توفير تفاعل اجتماعي ونقاش في مجموعات متعددة الأحجام بالمعلم أو بدونه.

–السياق ذو معنى مهم للتعلم، ويجب تذكر أن ماهو ذو معنى للمعلم ليس بالضرورة ذا معنى للمتعلم ،ويجب تطوير وعي المتعلمين بعمليتهم العقلية[4]

–مبادئ النظرية البنائية:

لخص جان بياجيه مبادئ النظرية البنائية فيما يلي:

يكون الإنسان فهما دقيقا للعالم من حوله من خلال مبادئ الموازنة .

التعليمات التي تحدد الشكل العام للإنسان هي نفسها التي تحدد نمو الذكاء.

النمو المعرفي حصيلة التفاعل بين عوامل النضج البيولوجي والبيئة الطبيعية والاجتماعية والتوازن،فالطفل يكتسب من خلال هذا تفاعل الخبرات المباشرة الناتجة عنه فيتعلم كيف يتعامل مع هذه البيئة ويكسب أنماط جديدة من التفكير بدمجها[5]

لايمكن تعلم المفهوم المحدد إلا إذا كان الطفل قد اكتسب الكفاءة العقلية للربط بين المعلومات .

التعلم الحقيقي هو التعلم الذي ينشأ عن التعلم فالتعزيز عند بياجيه لايأتي من البيئة كنوع من الحلول.

يتعلم الطفل في طور نموه أشياء لايمكن تفسيرها عن طريق المحددات المادية والاجتماعية والنضجية.

الموازنة عملية موروثة من خلالها يستطيع الطفل أن يربط بين المعلومات التي يتلقاها.

تتضمن عملية الموازنة نوعين من الاستجابات:

–التمثل والاستيعاب.

الموازنة والملائمة.

طبيعة وأصول البنائية الاجتماعية:

تعد النظرية البنائية الاجتماعية تغيرا تصويريا عميقا في النظر الى التعلم وتفسير حدوثه فقد كان ينظر تقليديا للتعلم في النظرية السلوكية والنظرية المعرفية على انه عملية انتقال الى المتعلم من الخارج فجاءت النظرية البنائية الاجتماعية لتقدم تصورا جديدا للتعلم على أنه عملية بناء داخل المتعلم من خلال التفاعل مع الآخرين وقد ظهرت البنائية نتيجة مراقبة الأطفال حين بنائهم للمعرفة في أثناء تعلمهم في السياق الطبيعي للتعلم ومن خلال تفاعلهم بأشكال مختلفة مع ماحولهم،فالتعلم المعمق والدائم يتم من خلال التفاعل الطبيعي والعفوي المشترك فيه العوامل المتعددة ،فبدلا من النظر للتعلم على أنه عملية نقل يقوم بها للتعلم بالدرجة الأولى صار ينظر للتعلم على أنه عملية نقل يقوم بها المعلم بالدرجة الأولى في حين ترى المدرسة السلوكية أن المعرفة لها وجود حقيقي منفصل على المتعلم وأن مهمة المعلم نقل هذه الحقائق الى ذهن المتعلم،ترى البنائية أن الإنسان يبني كل المعارف داخل ذهنه[6]

وليس هناك شيء منفصل عن المتعلم فالبنائية نظرية عن المعرفة والتعلم ،ظهرت في مقابل النظرية السلوكية وتبلورت أفكارها في الربع الأخير من القرن العشرين فهي تقدم رؤية للمعرفة وكيفية وصول المتعلم لها وتصف طبيعة التعلم وكيف يتعلم وقد نالت اهتماما متزايدا في العقود الأخيرة.

ترى النظرية البنائية الاجتماعية أن المتعلم يبني بنفسه فهمه الخاص عن العالم من حوله بدلا من أخذ هذا الفهم عن الآخرين ،ولذا تضع المتعلم في مركز عملية التعلم،وتعزز تبعا لذلك مفهوم التعلم المتمركز حول الطالب

فالبنائية الاجتماعية ترى أن المعلومات داخل المتعلم أي عملية بناء المعاني من هذه المعلومات ،فعملية التعلم هي عملية التعقل والتفهم لتلك المعلومات ،وليس فقط استقبالا بها وتخزينها وللبنائية جذور متعددة في علم النفس والفلسفة وقد أسهم في تكوين عدد كبيرا من العلماء اذ أضاف كل منهم بعدا للبنائية .

علاقة النظرية البنائية بالمناهج التعليمية:

لقد كانت المناهج التعليمية قديما ،تنتقي مفاهيمها من النظري السلوكية حيث كان المتعلم يتلقى المعرفة،وذلك باختزال العمليات المعرفية الأخرى الا عملية واحدة هي التذكر مع غياب كامل العمليات المعرفية الأخرى،المساهمة في البنية التحتية للعقل البشري ،وكان دور المعلم هو توصيل المعرفة القائمة على التلقين والاسترجاع عند التقويم عن طريق التذكرالآلي.

أما المناهج وفق النظرية البنائية هي مجموعة عناصر :كل من البنية التحتية والبنية الفوقية لعقل الانسان.

فالنظرية البنائية ترى أن الفرد هو الذي يبني المعرفة داخل عقله وهذه المعرفة لاتنتقل اليه مكتملة فاكتساب المعرفة والمهارة والمواقف يكون ذاتي ويتم بالتدرج.

كما تحرص النظرية البنائية على اتباع النسق الطبيعي الذي يكتسب الطفل وفقه اللغة الأم بذلك تقوم النظرية البنائية في التعليم على أربعة مراحل هي[7]

-فهم اللغة المنطوقة .

-التعبير الشفوي.

فهم اللغة المكتوبة.

-التعبير الكتابي .

فالنظرية البنائية ترتكز على وصف شامل للغة المدروسة قصد ضبط بنيتها التركيبية وتقديمها ضمن المواد التعليمية ،مراعية في ذلك أسلوب التدرج ،نستنتج من هذا أن النظرية البنائية ترى أن المعرفة عبارة عن عملية بناءة فالمتعلم هو الذي يبحث يفكر ويكتشف ،حتى يتوصل بمفرده الى بناء تعليماته.

ايجابيات النظرية البنائية:

تتميز نظرية التعلم البنائية بعدة مميزات منها:

تجعل من المتعلم محور العملية التعليمية فهو مطالب بالبحث والتنقيب حتى يصل الى المفاهيم بنفسه.

يتيح فرصة لممارسة عمليات التعلم مثل الملاحظة والاستنتاج.

يخلق الجو التعاوني الذي يتيح فرصة للتفاعل بين المتعلمين مع بعضهم البعض ومع المعلم من خلال الأنشطة.

يربط النموذج بين العلم والتكنولوجيا مما يتيح الرؤية أمام المتعلمين . كما يتطلب من المتعلمين اعطاء أكبر قدر من الحلول للمشكلة الواحدة ،مما يجعل المتعلمين في حالة تفكير مستمر مما يؤدي الى تنمية التفكير بأنواعه لدى المتعلمين.

يتيح فرصة للمتعلمين لتصحيح الفهم الخاطئ الذي قد يصلون اليها من خلال جلسات الحوار.

تنوع الأسئلة المحفزة للمتعلمين للرجوع الى مصادر المعرفة المتنوعة التي تدعم التفسيرات الناتجة.

اقتصار دور المعلم على التوجيه والتنظيم والارشاد ومصدر المعلومات أيضا.

سلبيات النظرية البنائية:

هناك من ينقد النظرية البنائية وبالنسبة للسلبيات هي:

تجزئة مراحل النمو وفصلها عن بعضها البعض في شكل فترات مستقلة تعتمد أساسا التحديد العمري مرورا بالخصائص الذهنية لكل مرحلة وانتهاء بنواتجها المحتملة والمفترضة ،وكأن الفرد موضوع هذه التجزأة ثابت لايتغير مهما كانت الظروف المحيطة به فجان بياجيه اعتبر تقسيمه العلمي نموذجا عالميا وبهذا يمكن اعتبار النظرية البنائية مفتقرة الى المرونة في هذا المستوى ولاتلائم كل الأوساط الثقافية والاجتماعية وبالتالي لا يمكن اعتمادها في مجال التعلم الانساني بمعناه الكوني وفيما عدا ذلك تظل أعمال جان بياجيه ذات قيمة ثابتة في مجال التربية والتعليم.

وظائف النظرية البنائية في تعلم الطلاب :ان النظرية البنائية بما تحتوي عليه من فلسفة تربوية تقدم تعلما أفضل،مما يحتم على المدرسين عدم التسرع وتقديم المعلومات للطلاب.

يجب تكليف الطلاب بعمل ما للحصول على المعلومة مثل البحث عنها في مصادر المعلومات المختلفة المتوفرة كالمكتبة والبيت والأنترنت وعمل البحوث العلمية المناسبة لسنهم.

رفع مهاراتهم في مجال الاتصال بالأخرين بشتى أشكاله التقليدية اللفظية والالكترونية.

تبادل المعلومات والخبرات وتوفير بيئة ثرية بالمعلومات ومصادرها .

النظرية البنائية مناسبة جدا في تدريس الرياضيات وبناء المفاهيم الرياضية.

وفي الأخير نستنتج أن النظرية البنائية الاجتماعية تختلف عن النظريات التقليدية في رؤيتها للتعلم ،بحيث تؤكد على عملية البناء التي يقوم بها المتعلم خلال التفاعل الاجتماعي وهي تختلف أيضا عن النظرية البنائية المعرفية من خلال تركيزها على عمليات التفاعل الاجتماعي ودور اللغة في تطوير عمليات التفكير في مقابل تركيز البنائية الاجتماعية على النمو والنضج تطبيقا لما سبق ذكره تؤكد البنائية الاجتماعية على التفاعل الاجتماعي في عمليات التعلم،وعلى استثمار المواقف الحقيقية في التعلم وعلى ايجاد بيئة تعلم تعتمد على الحوار والتعلم التعاوني.

الهوامش

[1]– فرديناند دي سوسير ،دروس في الألسنية العامة ،تر،صالح القرمادي ،محمد شاوش،محمد عجينة،الدارالعربية للكتابص140.

[2]– الشريفي شوقي السيد، المناهج التعليمية، مكتبة الرشد ناشرون، 2004، ص70.

[3]– د.راشد بن حسين عبد الكريم،النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها التدريسية في المناهج ،مركز بحوث كلية التربيةالسعودية 2011 ص18

[4]– د.علي راجح بركات :النظرية البنائية في النمو المعرفي ص12

[5]– المرجع نفسه ص14

[6]– د.أحمد عبد الله ،التعليم والمستقبل المركز الثقافي مصر ط1 ,2001م ص128.

[7]– المرجع نفسه ص130